جُزْءٌ فيه بيان ما جاء عن السلف في الحروف المقطّعة أوائل السّوَر، والتنبيه على القول بأنها مجرد حروف هجاء لا معنى لها سِيقَتْ للتّحدّي.

جمع وترتيب/ محمد بن مختار آل حُق.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد اشتهر عند كثير من الناس في عصرنا أن الحروف المقطعة في أوائل السور مثل {الم} و{حم} و{كهيعص}، لا معنى لها ولا تفسير، وأنها مجرد حروف هجاء في سياق التحدي للكافرين بأن =

= هذا القرآن مؤلف من هذه الحروف وأنتم تعجزون عن الإتيان بمثله، وهذا القول لم يأتِ عن أحدٍ من الصحابة ولا التابعين!، لكنّه نُسب إلى بعض أهل اللغة، ومع ذلك فقد اشتهر جدا في العصور المتأخرة!

قال عبد الأول ابن الشيخ حماد الأنصاري في "المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله وسيرته وأقواله ورحلاته" (٢ / ٥١٨)، عن أبيه:

- وسمعته، يقول: المتأخرون من المفسرين أكثرهم لم يطلع على أقوال السلف حول الحروف التي تبدأ في بعض أوائل السور نحو ﴿الم﴾ .

وقول بعض المفسرين من المتأخرين: إن ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده، هذه العبارة حق أريد بها باطل، فلا شك أن الله تعالى أعلم بمراد كتابه كله.

إن كتب السلف في التفسير تُرِكَت في الخزائن ونُشِر بدلاً منها تفاسير الرأي ونحوها . اهـ.

فصل.

ولا يكاد يوجد من هذه الأحرف شيء، إلا وقد تكلم السلف في معناه وبيان المراد به.

* قال أبو محمد ابن قتيبة في "تأويل مشكل القرآن" (صـ ٢٩٩، ت. السيد أحمد صقر):

- قد اختلف المفسرون في الحروف المقطّعة:

- فكان بعضهم يجعلها أسماء للسور، تعرف كل سورة بما افتتحت به منها .

- وكان بعضهم يجعلها أقساما .

- وكان بعضهم يجعلها حروفا مأخوذة من صفات الله تعالى، يجتمع بها في المفتتح الواحد صفات كثيرة، كقول ابن عباس في ﴿كهيعص﴾ ، إنّ الكاف من كاف، والهاء من هاد، =

= والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق، وقال الكلبيّ: هو كتاب كاف، هاد، حكيم، عالم، صادق.

- ولكل مذهب من هذه المذاهب وجه حسن، ونرجو ألا يكون ما أريد بالحروف خارجا منها، إن شاء الله. اهـ.

* وقال الخطيب البغدادي في "الفقيه والمتفقه" (ط. ابن الجوزي صـ ١٦٣)، في كلامٍ له:

- قلت: والصحيح، -والله أعلم-، أن المتشابه يعلمه الراسخون في العلم، ولم ينزل الله تعالى في كتابه شيئًا إلا وقد جعل للعلماء طريقا إلى معرفته، . . . إلى أن قال (صـ ١٦٤):

- وقد روي في الحروف المقطعة من ﴿كهيعص﴾، أنها خبر عن صفات الله عز وجل، فقيل: (الكاف) من كافٍ، و(الهاء) من هادٍ =

=، و(الياء) من حكيم، و(العين) من عليم، و(الصاد) من صادق، فكأنه قال: هذا الكتاب من كاف هاد حكيم عليم صادق، يروى ذلك عن ابن عباس.

- وكذلك ﴿الم﴾، و﴿المر﴾، و﴿الر﴾، و﴿المص﴾، ليس منها شيء إلا وقد تكلم الناس في تأويله.

- وأما قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾، فقد روي عن مجاهد، أنه قال: يعلمون تأويله، و﴿يقولون آمنا به﴾.

- أنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، نا عثمان بن أحمد الدقاق، نا أبو جعفر محمد بن غالب بن حرب، نا موسى بن مسعود أبو حذيفة، نا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: **﴿والراسخون في العلم﴾، يعلمون تأويله، و﴿يقولون آمنا به﴾**.

- قلت: ولو لم يكن الأمر هكذا، لم يكن للراسخين على العامة فضيلة؛ لأن الجميع يقولون آمنا به.

- فإن قيل: لو كان الأمر كذلك، لقال: (ويقولون آمنا به).

- قلنا: قد يجوز حذف (واو) النسق، وقيل: إنه في معنى الحال، فكأنه قال: والراسخون في العلم قائلين آمنا به، كأنهم يعلمونه في حال إيمانهم به، والله أعلم. اهـ.

ونحو ذلك كان قد قاله ابن قتيبة في "تأويل مُشكل القرآن" (صـ ٩٨، ٩٩، ١٠٠).

فصل.

ومما ورد عن السلف في تفسير الحروف المقطعة:

١ -ما جاء عنهم في قول الله ﷻ {حم}.

* قال الحافظ أبو بكر ابن أبي شيبة في "المصنف" (ط. كنوز إشبيلية ج٢٠ / صـ ٤٩٤، ٤٩٥):

- حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا زهير، عن أبي إسحاق، قال: سمعت المهلب بن أبي صفرة، يقول، -وذكر الحرورية وتَبْيِيتَهُم[١] -، فقال: قال أصحاب محمد: قال رسول الله ﷺ يوم حفر الخندق، وهو يخاف أن يُبَيِّتَهُم[١] أبو سفيان: «**إن بُيِّتُّم[١]؛ فإن دعواكم ﴿حم﴾، لا ينصرون**». اهـ.

---

(١) بيّت العدوُ المسلمين، أي هجموا عليهم ليلا.

* وقال الإمام البخاري في "التاريخ الكبير" (ط. الناشر المتميز ج٣ / صـ ٣٩٤):

- حمزة بن المغيرة بن شعبة، الثقفي.

- سمع أباه، سمع منه إسماعيل بن محمد .

- قال أبو قدامة: حدثنا الفزاري، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أخيه، كان حمزة بن المغيرة بن شعبة يمر بنا ليالي الجماجم، ليالي ابن الأشعث، فيقول: **ليكن شعاركم ﴿حم﴾ لا ينصرون؛ دعوى نبيكم** ﷺ . اهـ.

* وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلّام في "غريب الحديث" (نُسخة ليدن العتيقة، ورقة ١٧٨ ب):

- حدثني ابن مهدي، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن المهلب بن أبي صفرة، عمن سمع النبي ﷺ يقول: «**إن بُيِّتُّم الليلة؛ فقولوا: ﴿حم﴾ لا ينصرون**» .

- فكأن المعنى: اللهم لا ينصرون، والمحدّثون يقولون (بالنون)، والإعراب: (لا ينصروا) . اهـ، وجاء في نسخ أُخرى زيادة بعدها: و﴿حم﴾ اسم من أسماء الله تعالى. اهـ.

* وقال الخطابي في "غريب الحديث" (ت. إبراهيم العزباوي، ج١ / صـ٦٥٣، ٦٥٤):

- يذهب كثير من الناس في معناه إلى أنه دُعاء، وأرى أبا عبيد قد أشار إلى نحو من هذا .

- وبلغني عن ابن كيسان، أنه سأل عنه أبا العباس أحمد بن يحيى، فقال: هو إخبار، معناه والله لا ينصرون، ولو كان دعاء لكان مجزوما .

- وقال أهل التفسير: (حاميم) اسم من أسماء الله عز وجل، فكأنه حلف باسم من أسماء الله أنهم لا ينصرون، ويدل على هذا قول الشاعر:

يُذكّرني حاميم والرمح شاجر . . . فهلا تلا حاميم قبل التقدم!

- أي: يُذكّرني اللهَ.

- ويقال للسور التي تفتح أوائلها بحاميم: آل حاميم، والعامة يدعونها: الحواميم. اهـ.

* وقال أبو محمد البغوي في "شرح السنة" (ط. المكتب الإسلامي، ج١١ / صـ ٥٢، ٥٣):

- روي أن رسول الله ﷺ قال: «إن بيتكم العدو، فليكن شعاركم: ﴿حم﴾، لا ينصرون».

- روي عن ابن عباس، أنه قال: ﴿حم﴾ اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى.

- فكأنه حلف بالله تعالى: أنهم لا ينصرون.

- وقد قال أهل التفسير مثله في حواميم القرآن.

- قال أبو عبيد: كأن المعنى: اللهم لا ينصرون.

- وعن أبي العباس أحمد بن يحيى، أنه قال: هو إخبار، معناه والله لا ينصرون، ولو كان دعاءً لكان مجزوما. اهـ.

فصل.

٢ –ما جاء عنهم في قول الله ﷻ {كهيعص}.

* قال الإمام أبو سعيد الدارمي في "نقضه" على بشر المريسي (ط. المكتبة الإسلامية صـ ٥٣، ٥٤):

– حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: ﴿**كهيعص**﴾، **اسم من اسماء الله**.

– وقد روي لنا في تفسيرها عن ابن عباس رضي الله عنهما: حدثنا أحمد بن يونس، ثنا هشيم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: **(كاف) من كريم، و(عين) من عليم، و(ياء) من حكيم، و(ها) من هاد، و(صاد) من صدوق**[٢]. =

(٢) حديث عطاء بن السائب، عن ابن جبير، عن ابن عباس، قد تابع هشيما عليه كلٌ من: ابنُ عيينة، وزهيرُ بن معاوية =

. . . .

= × فقد قال عبد الرزاق الصنعاني في "التفسير" (ط. الرشد ج٢ / صـ ٣):

- أخبرنا ابن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: في {كهيعص}، قال: (كاف) مِن كافٍ، و(ياء) مِن حكيم، و(عين) مِن عليم، و(صاد) مِن صادق، و(هاء) مِن هادٍ. اهـ.

وأخرجه إسحاق البُستي في "تفسيره" (مخطوط عتيق من محفوظات مكتبة الإسكندرية)، قال:

- حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، في قوله {كهيعص}، قال: (كاف) مِن كافٍ، و(هاء) مِن هادٍ، و(صاد) مِن صادق، و(عين) مِن عليم، و(ياء) مِن حكيم. اهـ.

وابن عيينة ممن سمعوا من عطاء قبل الاختلاط، بل صرّح بأنه اتّقاه واعتزله لما تغير؛ فقد قال أبو جعفر العقيلي في "الضعفاء / رواية الصيدلاني" (ط. دار التأصيل):

- حدثنا محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان قال: كنت سمعت من عطاء بن السائب قديما، ثم قدم علينا قَدمَةً، فسمعته يحدث بعضَ ما كنت سمعت منه، فيخلط فيه، فاتقيته، واعتزلته. اهـ.

أما رواية زهير بن معاوية، فأخرجها الواحدي في "التفسير الوسيط" (ط. الكتب العلمية، ج٣ / صـ ١٧٥)، قال: =

. . . .

= - أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي، بقراءتي عليه في شوال سنة ست وعشرين وأربع مائة، أنا أبو عبد الله محمد بن نصير القرشي، من أصله العتيق سنة ستين وثلاث مائة، نا أبو عبد الله بن محمد بن أيوب بن يحيي، أنا أحمد بن يونس، نا زهير، قال: سئل عطاء بن السائب عن {كهيعص}، فحدَّثَنا عن سعيد بن جبير، أن ابن عباس حدثهم: أن "كاف" من كريم، و"هاء" من هاد، و"ياء" من حكيم، و"عين" من عليم، و"صاد" من صادق.

- وقال في رواية عطاء والكلبي: معناه: كاف لخلقه، هاد لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببريته، صادق في وعده.

- وعلى هذا كل واحد من هذه الحروف يدل على صفة من صفات الله. اهـ.

وزهير بن معاوية كان ثقةً صاحبَ سنّة.

× ومن طريق "تفسير ابن عيينة"، أخرجه كذلك الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (ت. ابن دهيش، ج١٠ / صـ ٣٠٠).

× وأثر ابنِ عباس رواه به وبنحوه من طرق أخرى عن ابن جبير:

× إسحاق البستي في "تفسيره".

× وكذا رواه الضياء المقدسي في "المختارة" (ج١٠ / صـ ٥٦، ٥٧) من طريق "تفسير ابن مردويه"، بسنده إلى "تفسير سعيد بن منصور" بسنده إلى ابن جبير.

× ورواه الطبري في "تفسيره" (١٥ / ٤٤٣، وما بعدها) مفرّقًا، من طرق.

= وحتى إن علي بن أبي طالب كان يُجملها، فيقول: يا ﴿كهيعص﴾ اغفر لي. كما يقول: يا الله اغفر لي.

- حدثنا روح بن عبد المؤمن المقري، ثنا محمد بن مسلم، ثنا نافع بن أبي نعيم، عن فاطمة ابنة علي، أنها سمعت عليا، يقول: **يا ﴿كهيعص﴾ اغفر لي**[٣]. اهـ.

---

(٣) الإسناد إلى علي بن أبي طالب لا بأس به إن شاء الله، فنافع بن أبي نعيم القارئ المشهور، وإن كان بعض العلماء تكلموا فيه في الحديث خاصةً، إلا أنه حجة في القراءات، وقوله فيما يتعلق بالتفسير أولى بالقبول، حتى وإن رجّحنا ضعفه في أحاديث الأحكام المرفوعة، والله أعلم.

والأثر أخرجه ابن ماجه في "تفسيره"، حسب ما ذكر المزي في ترجمة فاطمة بنت علي بن أبي طالب من "تهذيب الكمال" (ط. الرسالة، ج٢٩ / صـ ٢٨٤)، ورواه الطبري في "تفسيره" (ط. هجر، ج١٥ / صـ ٤٥١)، بإسنادٍ آخر عن فاطمة ابنة علي.

* وقال أبو العباس المستغفري في "فضائل القرآن" (ط. ابن حزم، ج٢ / صـ ٧٧٤):

- أخبرنا الحاجي، أخبرنا إبراهيم بن نصر، حدثنا يوسف بن عيسى، حدثنا وكيع، حدثنا المنذر بن سلهب[٤]، عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي، قال: سألت ابن الحنيّفة عن قول الله تعالى ﴿كهيعص﴾ . قال: **لو أخبرتك بتفسيرها لمشيت على الماء لا يواري قدميك**. -يعني أنها اسم من اسماء الله تعالى-. اهـ.

---

(٤) منذر لا يُعرف بجرح أو تعديل، قال الإمام البخاري في "التاريخ الكبير" (ط. الناشر المتميز، ج٩ / صـ ١٥٣، ١٥٤):

- منذر بن سلهب.

- عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي، قال: سألت ابن الحنفية عن {كهيعص}.

- روى عنه وكيع. اهـ.

فصل.

٣ -ما جاءٍ عنهم في قول الله ﷻ {الم}، و{طسم}.

* قال الطبري في "تفسيره" (١ / ٢٠٦)، وهو يتكلم عن الحروف المقطعة في أول سورة البقرة:

- **وقال بعضهم: هو اسم الله الأعظم، ذِكْرُ من قال ذلك:**

- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا شعبة، قال: سألت السدي عن ﴿حم﴾، و﴿طسم﴾، و﴿الم﴾، فقال: قال ابن عباس: **هو اسم الله الأعظم**.

- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثني أبو النعمان، قال: حدثنا شعبة، عن إسماعيل السدي، عن مرة الهمداني، قال: قال عبد الله. **فَذَكَرَ نَحْوَه**. اهـ.

وهذا إن قيل بانقطاعه عن ابن عباس، فهو صحيح متصل عن ابن مسعود، ومعناه عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب روي كما تقدم في قول الله تعالى {كهيعص}.

* وقال ابن أبي حاتم في "تفسيره" (ط. ابن الجوزي، ج١١ / ص ٢٥):

- حدثنا محمد بن يحيى، أنبأ العباس بن الوليد، ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿طسم﴾، قال: **اسم من أسماء القرآن، أقسم به ربك.** اهـ.

وليس في قول قتادة تعارض مع ما سبق، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، وقد سُمِّيت سورة من القرآن بـ (الرحمن)، وهو من أسماء الله تعالى.

فصل.

٤ -ما جاء عنهم في قول الله ﷻ {الم}، و{المص}، و{المر}.

* قال عبد الله بن أحمد بن حنبل في "السنة" (ط.٢ عادل آل حمدان، صـ ٤٥٥):

- حدثني أبي، نا وكيع، عن شريك، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، ﴿الر﴾: **أنا الله أرى.**

اهـ.

وهذا الأثر قد رواه ابن أبي حاتم في "تفسيره"، وشريك سيّئ الحفظ.

* وقال البيهقي في "الأسماء والصفات" (ت. محمد محب الدين أبو زيد، ج١ / صـ ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦):

- أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا =

= محمد بن إسحاق، ثنا يحيى بن أبي بكير، ثنا شريك، عن عطاء، عن أبي الضحى، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، ﴿المص﴾، قال: **أنا الله أفصل**، ﴿المر﴾، قال: **أنا الله أرى**.

- أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو أحمد محمد بن محمد بن إسحاق الصفار، ثنا أحمد بن محمد بن نصر اللباد، ثنا عمرو بن طلحة القناد، ثنا أسباط بن نصر، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس. وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، رضي الله عنه. وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿الم . ذلك الكتاب﴾: **أما ﴿الم﴾، فهو حرف اشتق من حروف هجاء أسماء الله عز وجل**.

- وأخبرنا أبو الحسين بن بشران، ثنا دعلج بن أحمد، ثنا محمد بن سليمان، حدثنا عبيد الله بن موسى، ثنا إسماعيل بن أبي خالد، =

= عن السدي، قال: **فواتح السور من أسماء الله عز وجل**. اهـ.

* وقال الطبري في "تفسيره" (١٢ / ١٠٣):

- حدثنا يحيى بن داود بن ميمون الواسطي، قال: ثنا أبو أسامة، عن أبي روق، عن الضحاك، في قوله ﴿الر﴾: **أنا الله أرى**. اهـ.

والأسانيد عن ابن عباس لا تخلو من مقال، إلا أن المراد من إيراد ذلك بيان وجود هذا التفسير عند السلف وأنه تفسير معروف عندهم غير منكر، وقد رواه من أخذوا العلم من طريق ابن عباس، وقد صحّ عن الضحاك من قوله، وهو وإن كان لم يسمع من ابن عباس، إلا أنه فيما يقال سمع التفسير بالري من سعيد بن جبير[٥].

---

(٥) قال الطبري في "تفسيره" (١ / ٨٥):

- وحدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا سليمان أبو داود، عن شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، قال: لم يلق الضحاكُ ابنَ عباس، وإنما لقي سعيدَ بن جبير بالري، وأخذ عنه التفسير. اهـ.

فصل.

٥ -ما جاءِ عنهم في قول الله ﷻ {الم}، و{الر}، و{حم}، و{ن}.

* قال ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١ / ٣٢):

- حدثني أبي، حدثني محمد بن معمر، ثنا عياش بن زياد الباهلي، ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿الم﴾، و﴿حم﴾، و﴿ن﴾، قال: **اسم مقطّع**. اهـ.

* وقال الطبري في "تفسيره" (١٢ / ١٠٣):

- حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه، قال: ثنا علي بن الحسين، قال: ثني أبي، عن يزيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، ﴿الر﴾، و﴿حم﴾، ونون: **حروف الرحمن مقطعة**. اهـ.

رواه ابن أبي حاتم (٨ / ٧٤٨)، قال:

- حدثنا علي بن الحسين، ثنا هدية بن عبد الوهاب، ثنا علي بن الحسين بن واقد، عن أبيه، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، ﴿الر﴾: **حروف الرحمن مفروقة.**

فحدثت به الأعمش، فقال: عندك مثل هذا ولا تخبرنا!

- وروي عن سالم بن عبد الله، أنه قال: **﴿الر﴾، ﴿حم﴾، ﴿ن﴾، اسم الرحمن مقطع.** اهـ.

* أما أثر سالم بن عبد الله بن عمر فقد أسنده ابن أبي حاتم في "تفسيره" في موضعين (١ / ٣١)، و(٣ / ١٥)، فقال في الأول:

- حدثنا أبي، ثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة، ثنا أبي، ثنا عيسى بن عبيد، .... =

عن حسين بن عثمان المزني[٦]، عن سالم بن عبد الله، قال ﴿الم﴾ و﴿حم﴾ و﴿ن﴾، ونحوها: **أسماء الله مقطعة**. اهـ.

وأخرجه الطبري في "تفسيره" (١٢ / ١٠٤)، بنحو ذلك.

* وقال الطبري (١٢ / ١٠٤):

- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، ﴿الر﴾: **اسم من أسماء القرآن**. اهـ.

---

(٦) الحسين بن عثمان بن بشر بن المحتفز المزني، من أهل مرو، ترجمه:

- ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (مخطوط كوبريلي ٢٧٨، و١٣٠أ)، ولم يذكر فيه جرحا ولاتعديلا.

- وابن حبان في "الثقات" (ط. المعارف العثمانية ج٦ / ٢٠٧)، ووصفه في موضع من "صحيحه" (ط. ابن حزم، ج٦ / صـ ٥٥٦)، بأنه ثقة من الثقات، وإن كان من في الإسناد هو حسين بن عمران.

- وابن قطلوبغا في "الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة" (ط. آل نعمان، ج٣ / صـ ٤٢٦).

فصل.

٦ -ما جاءِ عنهم في قول الله ﷻ {الم}، و{الر}، و{حم}، و{ص}.

* قال عبد الرحمن بن أبي حاتم في "التفسير" (١ / ٣١، ٣٢):

- حدثنا علي بن الحسين، ثنا أبو بكر، وعثمان، ابنا أبي شيبة، قالا: ثنا سويد بن عمرو، عن أبي عوانة، عن إسماعيل بن سالم، عن عامر، أنه سُئل عن ﴿الم﴾، و﴿الر﴾، و﴿حم﴾، و﴿ص﴾، قال: **هي اسم من أسماء الله مقطعة بالهجاء، فإذا وصلتها كانت اسما من أسماء الله.** اهـ.

فها هو التابعي عامر الشعبي يقول بأن الحروف المقطعة من أسماء الله تعالى، والشعبي من أشد الناس إنكارا للتفسير بغير علم، ومن أشد الناس مجانبة لأهل الرأي، وسمع من بعض الصحابة، وسمع كبار أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه، وهو من الذين رووا =

= عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، أنه قال: "**أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله بما لا أعلم**". أو كما قال، وكان الشعبي يقول: "**والله ما من آية إلا وسمعت فيها شيئا، ولكنها الرواية عن الله عز وجل**".

فصل.

* أما من الناحية اللغوية، فالقول بأن هذه الحروف المقطعة من أسماء الله تعالى، قولٌ ليس بمستغرب في لغة العرب، كي يرده بعضُ الناس، بل هو سائغ له وجه في العربية.

* قال أبو جعفر الطبري في "تفسيره" (١ / ٢١٥، وما بعدها):

- وأما الذين قالوا: ذلك حروفٌ مقطعةٌ بعضها من أسماء الله عز وجل، وبعضها من صفاته، ولكل حرف من ذلك معنى غير معنى الحرف الآخر.

- فإنهم نحوا بتأويلهم ذلك نحو قول الشاعر:

قلنا لها قفي لنا قالت قاف . . . لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

- يعني بقوله "قالت قاف"، قالت قد وقفت، فدلت بإظهار القاف من وقفت على مرادها من تمام الكلمة التي هي وقفت.

- فصرفوا قوله ﴿الم﴾ ، وما أشبه ذلك إلى نحو هذا المعنى.

- فقال بعضهم: الألف ألف أنا ، واللام لام الله، والميم ميم أعلم، وكل حرف منها دال على كلمة تامة.

- قالوا: فجملة هذه الحروف المقطعة إذا ظهر مع كل حرف منهن تمام حروف الكلمة أنا الله أعلم.

- قالوا: وكذلك سائر جميع ما في أوائل سور القرآن من ذلك، فعلى هذا المعنى وبهذا التأويل.

- قالوا: ومستفيضٌ ظاهرٌ في كلام العرب أن ينقص المتكلم منهم من الكلمة الأحرف إذا كان فيما بقي دلالة على ما حذف منها ، ويزيد فيها ما ليس منها إذا لم تكن الزيادة ملبسة معناها على سامعها ، كحذفهم في النقص في الترخيم من (حارث) الثاء، فيقولون: (يا حار)، ومن (مالك) الكاف، فيقولون: (يا مال)، وما أشبه ذلك.

- وكقول راجزهم:

ما للظليم عال كيف لا يا . . . ينقد عنه جلده إذا يا

- كأنه أراد أن يقول: إذا يفعل كذا وكذا، فاكتفى بالياء من يفعل.

- وكما قال آخر منهم:

بالخير خيرات وإن شرا فا

- يريد: فشرا.

ولا أريد الشر إلا أن تا

- يريد: إلا أن تشاء.

- فاكتفى بالتاء والفاء في الكلمتين جميعا من سائر حروفهما، وما أشبه ذلك من الشواهد التي يطول الكتاب باستيعابه.

- كما حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، عن أيوب، وابن عون، عن محمد، قال: لما مات يزيد بن معاوية، قال لي عَبِيدة: **إني لا أراها إلا كائنةً فتنة، فافزع من ضيعتك، والحق بأهلك.**

قلت: فما تأمرني؟

قال: **أحب إليّ لك أن تا**، -قال أيوب، وابن عون بيده تحت خده الأيمن، يصف الاضطجاع-، **حتى ترى أمرا تعرفه.**

- قال أبو جعفر: يعني بـ (تا)، تضطجع، فاجتزأ بالتاء من (تضطجع).

- وكما قال الآخر في الزيادة في الكلام على النحو الذي وصفت:

أقول إذ خرت على الكلكال . . . يا ناقتي ما جلت من مجال

- يريد: الكلكل.

- وكما قال الآخر:

إن شكلي وإن شكلك شتى . . . فالزمي الخص واخفضي

تبيضضي

- فزاد ضادا وليست في الكلمة.

- قالوا: فكذلك ما نقص من تمام حروف كل كلمة من هذه الكلمات التي ذكرنا أنها تتمة حروف ﴿الم﴾، ونظائرها، نظير ما نقص من الكلام الذي حكيناه عن العرب في أشعارها وكلامها . اهـ.

فصل.

* قد يزعم بعض الناس أن هناك تعارضا بين الأقوال، فيلزم الترجيح.

* فيقال: إذا كان لا بد من الترجيح، فلا ينبغي إحداث قول لم يقله أحد من الصحابة والتابعين، هذا بفرض أنه لا يمكن الجمع بين أقوالهم، وأنها متضادة.

قال ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٢١ / ٢٩١): **وكُلُّ قولٍ ينفردُ به المتأخرُ عن المتقدمين، ولم يسبقه إليه أحدٌ منهم، فإنه يكون خطأً**. اهـ.

والأدلة كثيرة على المنع من إحداث قول في كتاب الله تعالى إذا ورد فيه عن الصحابة والتابعين شيءٌ.

* والصحيح أنه لا تعارض إن شاء الله.

قال أبو جعفر الطبري في "تفسيره" (١ / ٢٢٣)، بعد أن روى الأقوال في المسألة عن السلف:

- والصواب من القول عندي في تأويل مفاتح السور التي هي حروف المعجم: أن الله جل ثناؤه جعلها حروفا مقطعة، ولم يصل بعضها ببعض فيجعلها كسائر الكلام المتصل الحروف؛ لأنه عز ذكره أراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معان كثيرة لا على معنى واحد، كما قال الربيع بن أنس، وإن كان الربيع قد اقتصر به على معان ثلاثة دون ما زاد عليها .

- والصواب في تأويل ذلك عندي أن كل حرف منه يحوي ما قاله الربيع وما قاله سائر المفسرين غيره فيه، سِوَى ما ذكرتُ من القول عمن ذكرت عنه من أهل العربية أنه كان يوجه تأويل ذلك إلى أنه حروف هجاء استغنى بذكر ما ذكر منه في مفاتح السور عن ذكر =

= تتمة الثمانية والعشرين حرفا من حروف المعجم، بتأويل: أن هذه الحروف، ﴿ذلك الكتاب﴾، مجموعة ﴿لا ريب فيه﴾؛ فإنه قول خطأ فاسد؛ لخروجه عن أقوال جميع الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين من أهل التفسير والتأويل، فكفى دلالة على خطئه شهادةُ الحجةِ عليه بالخطأ، مع إبطال قائل ذلك قوله الذي حكيناه عنه، إذ صار إلى البيان عن رفع ﴿ذلك الكتاب﴾، بقوله مرة إنه مرفوعٌ كل واحد منهما بصاحبه!، ومرة أخرى أنه مرفوعٌ بالراجع من ذكره في قوله ﴿لا ريب فيه﴾!، ومرة بقوله: ﴿هدى للمتقين﴾!، وذلك تركٌ منه لقوله إن ﴿الم﴾ رافعة ﴿ذلك الكتاب﴾، وخروج من القول الذي ادّعاه في تأويل ﴿الم ذلك الكتاب﴾، وأن تأويل ذلك: هذه الحروف ﴿ذلك الكتاب﴾. اهـ.

وهذا إبطال من الطبري رحمه الله لهذا القول المستحدث، من جهة الخبر، ومن جهة اللغة.

ثم قال الطبري:

- فإن قال لنا قائل: وكيف يجوز أن يكون حرف واحد شاملا الدلالة على معان كثيرة مختلفة؟

- قيل: كما جاز أن تكون كلمة واحدة تشتمل على معان كثيرة مختلفة، كقولهم للجماعة من الناس: أمة، وللحين من الزمان: أمة، وللرجل المتعبد المطيع لله: أمة، وللدين والملة: أمة.

وكقولهم للجزاء والقصاص: دين، وللسلطان والطاعة: دين، وللتذلل: دين، وللحساب: دين. في أشباه لذلك كثيرة يطول الكتاب بإحصائها مما يكون من الكلام بلفظ واحد، وهو مشتمل على معان كثيرة.

- وكذلك قول الله جل ثناؤه: ﴿الم﴾ و﴿المر﴾ و﴿المص﴾، وما أشبه ذلك من حروف المعجم التي هي فواتح أوائل السور، كل حرف منها دال على معان شتى، شامل جميعها من أسماء الله عز وجل =

= وصفاته ما قاله المفسرون من الأقوال التي ذكرناها عنهم؛ وهنّ مع ذلك فواتح السور كما قاله من قال ذلك.

وليس كون ذلك من حروف أسماء الله جل ثناؤه وصفاته، بمانعها أن تكون للسور فواتح؛ لأن الله جل ثناؤه قد افتتح كثيرا من سور القرآن بالحمد لنفسه والثناء عليها، وكثيرا منها بتمجيدها وتعظيمها، فغير مستحيل أن يبتدئ بعض ذلك بالقسم بها.

فالتي ابتُدِئ أوائلها بحروف المعجم أحد معاني أوائلها أنهن فواتح ما افتتح بهن من سور القرآن، وهن مما أقسم بهن؛ لأن أحد معانيهن أنهن من حروف أسماء الله تعالى ذكره وصفاته على ما قدمنا البيان عنها، ولا شك في صحة معنى القسم بالله وأسمائه وصفاته، وهن من حروف حساب الجمل، وهن للسور التي افتتحت بهن شعار وأسماء.

فذلك يحوي معاني جميع ما وصفنا مما بينا من وجوهه، =

= لأن الله جل ثناؤه لو أراد بذلك أو بشيء منه الدلالة على معنى واحد مما يحتمله ذلك دون سائر المعاني غيره، لأبان ذلك لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إبانة غير مشكلة، إذ كان جل ثناؤه إنما أنزل كتابه على رسوله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم ما اختلفوا فيه.

وفي تركه صلى الله عليه وسلم إبانة ذلك أنه مراد به من وجوه تأويله البعض دون البعض، أوضح الدليل على أنه مراد به جميع وجوهه التي هو لها محتمل؛ إذ لم يكن مستحيلا في العقل وجه منها أن يكون من تأويله ومعناه، كما كان غير مستحيل اجتماع المعاني الكثيرة للكلمة الواحدة باللفظ الواحد في كلام واحد.

- ومَن أبى ما قلناه في ذلك، سُئِل الفرقَ بين ذلك وبين سائر الحروف التي تأتي بلفظ واحد مع اشتمالها على المعاني الكثيرة المختلفة، =

= كالأمة والدين وما أشبه ذلك من الأسماء والأفعال.

- فلن يقول في أحد ذلك قولا، إلا ألزم في الآخر مثله.

- وكذلك يُسأل كل من تأول شيئًا من ذلك على وجهٍ دون الأوجه الأخر التي وصفنا، عن البرهان على دعواه من الوجه الذي يجب التسليم له ثم يعارض بقوله يخالفه في ذلك، ويُسأل الفرقَ بينه وبينه: من أصلٍ، أو مما يدل عليه أصلٌ؟

- فلن يقول في أحدهما قولا إلا ألزم في الآخر مثله.

- وأما الذي زعم من النحويين أن ذلك نظير بل في قول المنشد شعرا:

بل . . . ما هاج أحزانا وشجوا قد شجا

- وأنه لا معنى له، وإنما هو زيادة في الكلام معناه الطرح.

- فإنه أخطأ من وجوه شتى:

- أحدها: أنه وصف الله تعالى ذِكْرُه بأنه خاطب العرب بغير ما هو من لغتها وغير ما هو في لغة أحد من الآدميين، إذ كانت العرب، وإن كانت قد كانت تفتتح أوائل إنشادها ما أنشدت من الشعر بـ (بل)، فإنه معلوم منها أنها لم تكن تبتدئ شيئًا من الكلام بـ ﴿الم﴾، و﴿الر﴾، و﴿المص﴾، بمعنى ابتدائها ذلك بـ (بل)، وإذ كان ذلك ليس من ابتدائها، وكان الله جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم من القرآن بما يعرفون من لغاتهم، ويستعملون بينهم من منطقهم في جميع آيه، فلا شك أن سبيل ما وصفنا من حروف المعجم التي افتتحت بها أوائل السور التي هن لها فواتح، سبيل سائر القرآن في أنه لم يُعدل بها عن لغاتهم التي كانوا بها عارفين ولها بينهم في منطقهم مستعملين؛ لأن ذلك لو كان معدولا به عن سبيل لغاتهم ومنطقهم، كان خارجا عن معنى الإبانة التي وصف الله عز وجل بها القرآن، =

فقال تعالى ذكره: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾، وأنى يكون مبينا ما لا يعقله ولا يفقهه أحد من العالمين في قول قائل هذه المقالة، ولا يعرف في منطق أحد من المخلوقين في قوله؟

وفي إخبار الله جل ثناؤه عنه أنه عربي مبين ما يكذب هذه المقالة، وينبئ عنه أن العرب كانوا به عالمين وهو لها مستبين. فذلك أحد أوجه خطئه.

- والوجه الثاني من خطئه في ذلك: إضافته إلى الله جل ثناؤه أنه خاطب عباده بما لا فائدة لهم فيه ولا معنى له من الكلام الذي سواء الخطاب به وترك الخطاب به، وذلك إضافة العبث الذي هو منفي في قول جميع الموحدين عن الله، إلى الله تعالى ذِكْرُه.

- والوجه الثالث من خطئه: أن (بل) في كلام العرب مفهومٌ تأويلُها

ومعناها، وأنها تدخلها في كلامها رجوعا عن كلام لها قد تَقَضَّى،

كقولهم: ما جاءني أخوك بل أبوك؛ وما رأيت عمرا بل عبد الله، وما

أشبه ذلك من الكلام، كما قال أعشى بني ثعلبة:

ولأشربن ثمانيا وثمانيا ... وثلاث عشرة واثنتين وأربعا

- ومضى في كلمته حتى بلغ قوله:

بالجلسان وطيب أردانه ... بالون يضرب لي يكر الأَصبعا

- ثم قال:

بل عد هذا في قريض غيره ... واذكر فتى سمح الخليقة أروعا

- فكأنه قال: دع هذا وخذ في قريض غيره.

ف (بل) إنما يأتي في كلام العرب على هذا النحو من الكلام.

فأما إفساحا لكلامها مبتدأ بمعنى التطويل والحذف من غير أن يدل على معنى، فذلك مما لا نعلم أحدا ادعاه من أهل المعرفة بلسان العرب ومنطقها، سوى الذي ذكرت قوله، فيكون ذلك أصلا يشبه به حروف المعجم التي هي فواتح سور القرآن التي افتتحت بها لو كان له مُشبِهةً، فكيف وهي من الشبه به بعيدة؟!. اهـ.

فصل.

قد نسب بعض المتأخرين، -بلا إسناد-، إلى بعض السلف أنهم لم يفسروا هذه الحروف لأنها مما استأثر الله بعلمها.

* فقال الحافظ المفسِّر إسماعيل بن كثير الدمشقي في "تفسيره" (ط. ابن الجوزي، ج١ / صـ ٢٤١):

. . .، فمنهم من قال: هي مما استأثر الله بعلمه، فردوا علمها إلى الله ولم يفسروها .

- حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين، وقاله عامر الشعبي، وسفيان الثوري، والربيع بن خيثم، واختاره أبو حاتم بن حبان. اهـ.

* وهذا الكلام فيه نظر من وجوه:

الوجه الأول: أن الصحيح المشهور عن السلف المروي عنهم بالأسانيد، -كما تقدم-، هو أنهم فسّروا هذه الحروف وتكلّموا في معانيها، ومسألة يتّفق عليها الخلفاء الأربعة لن تخفى عن السلف!

الوجه الثاني: أن ما ذكره ابن كثير عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي! رضي الله عنهم، كان قد حكاه أبو محمد البغوي (٥١٠ هـ) في "تفسيره" (ط. دار طيبة، ج١ / صـ ٥٩)، ثم القرطبي (٦٧١ هـ)، في "تفسيره" (ط. دار الكتب المصرية، ج١ / صـ ١٥٤) عن أبي بكر وعلي فقط، بلا إسناد ودون حتى أن يذكرا لفظ الأثر!؛ فلا يمكن الاعتماد عليه أبدًا، بل لو قيل بنكارته وبطلانه لما كان بعيدًا؛ وذلك لعدة أسباب، منها:

× أن أول من نسب ذلك إلى أبي بكر وعلي فيما وقفت عليه هو أبو إسحاق الثعلبي (٤٢٧ هـ)، ولم يذكر الإسناد، لكن ذكر لفظ كلٍّ منهما، فقال في "تفسيره" (ط. دار التفسير، ج٣ / صـ ١٩):

- قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لله عزّ وجلّ في كل كتاب سر، وسر الله في القرآن أوائل السور.

- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي. اهـ.

ثم بعد ذلك نسبه إلى أبي بكر وعلي رضي الله عنهما بلا إسناد: الرازي إمام المتكلمين في "تفسيره"، وتتابع النقل بعد ذلك بلا إسناد!

وليُعلم أن المتأخرين من المفسرين مصادرهم متعددة؛ فبجانب نقلهم عن تفاسير أهل السنة، فهم ينقلون عن تفاسير المعتزلة والأشاعرة والمتكلمين، كـ "تفسير" الرازي، و"تفسير" أبي حيان، و"تفسير" الرماني، و"تفسير" أبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني، و"تفسير" أبي مسلم محمد بن علي الأصبهاني.

x أن المفسرين ممن جمعوا الأسانيد وصنّفوا، لم يُخرج أحدٌ منهم ذلك القول عن أبي بكر ولا عن علي، ولو حتى بأوهى الأسانيد وأشدّها ضعفًا!

والسيوطي مع كونه طالع عددا هائلا من الكتب المسندة في التفسير، والقراءات، واللغات، والغريب، والوقف والابتداء، .... إلخ-، إلا أنه لم يذكر هذا القول عن أبي بكر ولا عن علي رضي الله عنهما، رغم أنه يختار هذا القول ويرجحه!، -كما في "الإتقان" ط. المجمع، ج٤ / صـ ١٣٧٢-، ومع ذلك فلم يذكر فيه إلا أثر الشعبي كما سيأتي.

x أنه إذا كان هذا سرٌّ من أسرار القرآن استأثر الله بعلمه، ونهى عباده المؤمنين عن الخوض فيه؛ لما خاض فيه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، ولا ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، ولا خاض فيه التابعون الذين تربوا وتعلموا على أيدي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما تقدم.

x أن أبا الليث السمرقندي (٣٧٣ هـ) ذكر عن علي ابن أبي طالب ما يبين معنى ما ذكره الثعلبي، فقال في "تفسيره" (ط. الكتب العلمية، ج١ / ٨٧):

- وعن علي رضي الله عنه: هو اسم من أسماء الله تعالى، فرقت حروفه في السور. اهـ.

وهذا يبين قول علي أنها "صفوة القرآن"، وأنها على خلاف ما فهمه الثعلبي ومن تبعوه، هذا إذا سلّمنا أصلًا بقبول الرواية بلا سند من هؤلاء المتأخرين الذين ينقلون من تفاسير أهل السنة والمعتزلة والأشاعرة والمتكلمين!

✗ أن اللغوي المحدّث أحمد بن فارس قال في "الصاحبي" (ط. البابي الحلبي، ت. السيد أحمد صقر، صـ ١٦٣):

- وقال آخرون: لكل كتاب سرٌّ وسرّ القرآن فواتح السور.

- وأظنّ قائل هذا أراد أن ذَلِكَ من السرّ لا يعلمه إلا الخاص من أهل العلم والراسخون فِيهِ. اهـ.

✗ أن كثيرا من الآثار المسندة التي تُنقل عن أبي بكر وعلي، تكون معضلة أو مرسلة؛ -وذلك لقِدَمِ وفاتيهما-، فكيف يُعتمد على نقل متأخر لا إسناد له؟!

الوجه الثالث: ما ذكره ابن كثير من نسبة هذا القول لابن مسعود رضي الله عنه فيها نظر؛ فقد صحّ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه تكلم في معانيها، ونقله الطبري في "تفسيره"، -كما تقدم-، فقال:

- وقال بعضهم: هو اسم الله الأعظم.

ذِكْرُ من قال ذلك:

- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا شعبة، قال: سألت السدي عن ﴿حم﴾، و﴿طسم﴾، و﴿الم﴾، فقال: قال ابن عباس: **هو اسم الله الأعظم**.

- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثني أبو النعمان، قال: حدثنا شعبة، عن إسماعيل السدي، عن مرة الهمداني، قال: قال عبد الله. **فَذَكَرَ نحوَه**. اهـ.

فهذا المعنى صحيح متصل عن ابن مسعود.

الوجه الرابع: أن التابعي عامر الشعبي، قد صحّ عنه أنه فسّر الحروف، أخرج ذلك ابنُ أبي حاتم وغيره من المفسرين، بأسانيد معروفة.

أما ما ذكره القرطبي وتبعه ابنُ كثير بلا إسناد، فقد أخرجه ابن المنذر وأبو الشيخ في "تفسيريهما"، كما ذكر السيوطي في "الدر المنثور" (ط. هجر، ج١ / ١٢٧)، قال:

- وأخرج ابن المنذر، وأبو الشيخ بن حيان في "التفسير"، عن داود بن أبي هند، قال: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور.

قال: **يا داود، إن لكل كتاب سرا، وإن سر هذا القرآن فواتح السور، فدعها وسل عما بدا لك.** اهـ.

والنهي عن السؤال في موطن لا يقتضي عدم معرفة تفسيرها مطلقًا، فقد ثبت أن الشعبي فسّرها!، وأغلب من رووا الآثار في تفسير فواتح السور هم أنفسهم من تلاميذ الشعبي، ومن تلاميذ داود بن أبي هند.

الوجه الخامس: نسبة القول لسفيان الثوري رحمه الله فيها نظر، وما ذُكِرَ عنه إن ثبت ليس بحجة على ما نُقل عن الصحابة والتابعين، وإلا فأين قال الثوري ذلك؟ والروايات عنه مشهورة معروفة في "تفسير" تلميذه عبد الرزاق، و"تفسير" الطبري، وغيرهما من طريق ابن مهدي وغيره عنه.

و"تفسير الثوري" موجود مطبوع، وقد جاء فيه (كما في الطبعة الهندية القديمة، صـ ١٣٩)، -وهو برواية أبي حذيفة النهدي-:

- سفيان، عن حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله ﴿كهيعص﴾، قال: **كافٍ، كبير، هادٍ، أمين، عزيز، صادق**.

- سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، عن ابن عباس، **مثله**، إلا أنه جعل مكان "**كبير هاد**"، "**كاف هاد**". اهـ.

فكيف يرى أنها من أسرار القرآن التي لا يُتكلم في تفسيرها، ثم يروي في تفسيرها؟!

وقد روى سفيان الثوري، -كما تقدم عند أبي عُبيد-: **عن أبي إسحاق، عن المهلب بن أبي صفرة، عمن سمع النبي صلي الله عليه وسلم يقول: إن بُيِّتم الليلة، فقولوا: ﴿حم﴾، لا ينصرون.** اهـ.

الوجه السادس: لا تصح نسبة القول للتابعي المخضرم الربيع بن خثيم رحمه الله، وكلامه ليس المراد به الحروف المقطعة بعينها!، بل المراد ما استأثر الله تعالى بعلمه كقيام الساعة والغيب وحقيقة الروح ... إلخ.

وكلامه الذي فُهم منه ذلك هو ما نقله القرطبي في "تفسيره" (١ / ١٥٤)، قال:

- قلت: ومن هذا المعنى ما ذكره أبو بكر الأنباري:

حدثنا الحسن بن الحباب، حدثنا أبو بكر بن أبي طالب، حدثنا أبو المنذر الواسطي، عن مالك بن مغول، عن سعيد بن مسروق، عن الربيع بن خثيم، قال: **إن الله تعالى أنزل هذا القرآن، فاستأثر منه بعلم ما شاء، وأطلعكم على ما شاء، فأما ما استأثر به لنفسه فلستم بنائليه فلا تسألوا عنه، وأما الذي أطلعكم عليه فهو الذي تسألون عنه وتخبرون به، وما بكل القرآن تعلمون، ولا بكل ما تعلمون تعملون.**

قال أبو بكر: فهذا يوضح أن حروفا من القرآن سُتِرَت معانيها عن جميع العالم، اختبارا من الله عز وجل وامتحانا، فمن آمن بها أثيب وسعد، ومن كفر وشك أثم وبعد . اهـ.

وهذا إسناد صحيح، وليس فيه أن المراد به هو الآيات التي "فسّرها" السلفُ في الحروف المقطعة!؛ إنما يراد به ما هو مثل علم الساعة ووقتها، والسؤال عن الروح، وما إلى ذلك، وإلا فالسلف لا يتكلمون في القرآن إلا بعلم.

ومراد أبي بكر الأنباري بالـ "حروف" بَيِّن، فقد قال في "الأضداد" (ط. المكتبة العصرية، صـ ٤٢٣):

- و"الروح" حرفٌ استأثر الله تعالى بعلمه، ولم يُطلع عليه أحدا من خلقه، وهو قوله تعالى ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ . اهـ.

وقال في كلام له (صـ ٤٢٥، ٤٢٦):

. . .؛ لأن في كتاب الله جل وعز حروفا طوى الله تأويلاتها عن الناس اختبارا للعباد، ليؤمن المؤمن بها على غموض تأويلها فيسعد، ويكفر بها الكافر فيشقى؛ من ذلك قوله جل وعز ﴿إن الساعة آتية﴾، تحت "الإتيان" تأويل زمان محدود لا يعلمه غير الله عز وجل، يدل على ذلك أنهم طالبوا به، وأرادوا علمه فمُنِعوا، ولم يجابوا إلى كشفه، فكان من قولهم ﴿متى هذا الوعد﴾، و﴿أيان مرساها﴾، وكان من جواب الله عز وجل ﴿لا يعلمها إلا هو﴾.

- ومن الحروف أيضا ﴿وقرونا بين ذلك كثيرا﴾، تحت "قرون" تحصيل عدد لم يطلع الله عليه أحدا، فهو من التأويل الذي استأثر بعلمه. =

- ومنه ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾، سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح، فأجابهم بهذا، ولم يكشف حقيقته، كما كشف حقيقة أمر أصحاب الكهف، وحقيقة أمر ذي القرنين، لأنه انفرد بعلمه وغيبه عن خلقه، وقال ابن بريدة: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وهو يعلم الروح.

- ومن الحروف أيضا ﴿والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله﴾، تحت "الذين" تأويل من غير تحصيل العدد، لا يعلمه غير الله جل وعز. اهـ.

وذكر غير ذلك.

الوجه السابع: أن قول الحافظ ابن كثير: "**واختاره أبو حاتم ابن حبان**"، خطأ، والذي قاله القرطبي في "تفسيره" (١ / ١٥٤) هو:

– **وقال أبو حاتم: لم نجد الحروف المقطعة في القرآن إلا في أوائل السور، ولا ندري ما أراد الله عز وجل بها** . اهـ.

وليس المراد هو أبو حاتم ابن حبان (٣٥٤ هـ)، بل هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني اللغوي (٢٥٥ هـ)، وقد نقل هذا القول عنه أبو جعفر النحاس المصري الأديب المفسر (٣٣٨ هـ) في "معاني القرآن" (ط. مركز إحياء التراث بجامعة أمّ القُرى، ج١ / صـ ٧٨)، وقد أكثر النحاس النقل عنه في كتبه، وكون السجستاني لا يدري ما أراد الله عز وجل بها، لا يستلزم أن غيره ممن هو أعلى منه وأقرب لعهد النبوة لا يدري أيضا!

خَاتِمة:

مما تقدّم يتبين أن ما هو مشهور عند المتأخرين من القول بأن الحروف المقطعة عديمة المعنى وأنه مجرد حروف هجاء لا معنى لها سيقت للدلالة على حروف المعجم لتحدّي الكفّار، -قولٌ فيه نظر، جاء عن السلف ما ينقضه ويُبطله.

وهذا يدلّك على أهميّة الاعتناء بتفاسير السلف والمروي عنهم، على أننا لا نبخس العلماء المتأخرين حقّهم ولا ننكر فضلهم.

والحمد لله رب العالمين.